

تاريخ الحفريات في تمودة (شمال المغرب) خلال عهد الحماية الإسبانية

د. مصطفى عطيس *

ملخص بالعربية:

ستتناول هذه الدراسة تدبير التراث الأركيولوجي بخصوص تمودة خلال عهد الحماية الإسبانية في شمال المغرب، منذ احتلال الإسبان لتطوان ونشر الظهير المتعلق بالمحافظة على الآثار (١٩١٣/٨/١٨)، وإحداث المجلس الأعلى للآثار الفنية والتاريخية في ١٩٢٠. ومباشرة بعد هذا التاريخ اكتشف مونطالبان تمودة (١٩٢١) وبأشر لأول مرة الحفريات فيها... وبعد الحرب الأهلية الإسبانية، تم التركيز أساسا على الأركيولوجيا الكلاسيكية على حساب الأركيولوجيا والفن العربيين، وهو ما يعكس، حسب بعض المؤرخين الإسبان أنفسهم، تأثير الإيديولوجية الاستعمارية وتحيز المتأثرين بها للاستعمار الروماني... وكانت الحفريات الأولى في تمودة أقرب إلى التخريب منها إلى البحث الأركيولوجي بمعناه الحديث، وكانت تقاريرها، قبل مجيء طراديل، متأثرة بالدعاية الفاشية (نظام فرانكو)، والأحكام المسبقة، ومسخرة لدعم السلطات الاستعمارية في حريها ضد ما كانت تسميه رسميا بـ "القبائل الثائرة على سلطة السلطان". فاكتشاف تمودة يوافق هزيمة الجيش الإسباني في أنوال، واشتغال الأركيولوجيين الإسبان الأوائل وسط هجمات المقاومة، جعلتهم ينعنون أرواحهم بـ "أرواح الجند" ...

بعد التعريف بموقع تمودة وأصل اسمها، ستهتم هذه الدراسة بالمؤلفين القدامى الذين أوردوا بعض أخبارها أو أشاروا إلى اسم النهر الذي يمر بها، أو إلى مصبه. ثم سنرى كيف تم تحديد تاريخ تأسيس تمودة من خلال نتائج الحفريات التي قام بها طراديل (M. Tarradell)، والتي كشفت أيضا عن تعرض المدينة لتخريبين، يرجع تاريخ آخرهما إلى عام ٤٠ م، ليبنى الرومان بعده حصنا فوق أنقاض المدينة الموريطانية المخربة، نظرا لأهميتها الاستراتيجية.

وسيتناول هذا البحث بعد ذلك موضوع اكتشاف الأركيولوجيين الإسبان لتمودة سنة ١٩٢١، وحفرياتهم فيها، وكذلك تدبيرهم للتراث الأثري في المنطقة الخاضعة لهم شمال المغرب. فكيف تتجلى آثار الفكر الاستعماري في نتائج التنقيبات الأثرية التي صدرت في الأبحاث الإسبانية خلال عهد الحماية؟

موقع تمودة:

تقع تمودة وسط سهل خصب، على الضفة اليمنى من وادي مرتيل الذي يجري من الغرب إلى الشرق، بين جبال بني حزم جنوباً وسامسا شمالاً؛ وكانت تقع لما تم اكتشافها على بعد خمسة كلم جنوب غرب تطوان، بجنب الطريق المؤدية إلى شفشاون^١. وهي اليوم جزء من ملحقة الحي المدرسي الإدارية (Annexe administrative) التي هي الأخرى جزء من المنطقة الحضرية تطوان الأزهر (District urbain Tétouan Al Azhar).

أصل اسم تمودة:

اعتقد تيسو (Ch. Tissot) أن اسم المكان " " الذي أورده بلين في "تاريخه الطبيعي"، هو عبارة عن اسم ليبي، يوجد في اللهجة الأمازيغية على شكل « Tamda »، ومعناه حسب تيسو (Ch. Tissot) في « لهجة شلوح الأطلس»: « بركة، مستنقع »^٢. وجلي أن المؤلف يقصد لهجة سكان جبال الريف وليس أمازيغ جبال الأطلس! وتستند فرضية تيسو (Ch. Tissot) هذه فعلا على معنى كلمة في لهجة سكان الريف الغربي اليوم، إذ تعني هذه الكلمة « بركة، أو مستنقع في السهل الفيضي لمجرى نهر^٣ ».

^١ - Quintero Atauri, 1941 b, 5 ; Tarradell, 1949 b, 86 ; 1953, 27 ; 1960, 97, 101 ; 1966, 440.

وانظر: أحمد المكناسي، خريطة المغرب الأركيولوجية، تطوان ١٩٦١، ص. ١٢.

^٢ - Tissot, 1878, 157: « L'oued Martil forme de vastes marécages à son embouchure et c'est évidemment à cette particularité qu'il a dû son nom primitif de Tamuda ».

^٣ - Mouliéras, 1899, 234 ; Besnier, 1904, 328 ; Gsell, 1920, 167, n. 4 et 5 ; Roget, 1924, 50 ; ROGET-COEYTAUX, 1938, 77 ; Quintero Atauri, 1941 b, 6 ; Quintero Atauri, 1941 a, 48 ; Maldonado Vazquez, 1947, 18 ; Cintas, 1976, 225 ; Plin l'ancien, H.N., V, 1- 46 ; 1980, 149, n. 3.

ولقد ذكر محمد الرهوني في مؤلفه "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" تيسو (Ch. Tissot)، وأوضح أن وادي مرتيل يوافق بالفعل اسم $\Theta\alpha\lambda\omicron\upsilon\delta\alpha$ الذي أورده بطليموس في جغرافيته، و *Tamuda* الذي أورده بلين في تاريخه الطبيعي، والذي يعني « مستنقع »^٤.

مصادر تاريخ تمودة:

لقد وصل إلينا اسم تمودة هذا عن طريق تاريخ بلين الطبيعي^٥ الذي يُعتبر أقدم نص قام بذكر المدينة : « (...) ابتداء من هذه الجبال [ناحية سبتة]، يبدأ الساحل المتوسطي، حيث نجد نهر تمودة القابل للملاحة، وقديما، مدينة تحمل نفس الاسم أيضا، (...)». وتأكد علماء الآثار من وجودها بعد أن عثروا بين أنقاضها على نقيشة حجرية تحمل اسم تمودة، وقد نقشت باللغة اللاتينية^٦. ولقد اكتشفت هذه النقيشة في تمودة سنة ١٩٣٣ ؛ وهي تُذكر بالانتصار الذي حققه حاكم (*praeses*) موريطانيا الطنجية على الغزاة، ربما الجرمان، في سنة ٢٥٣ أو ٢٥٧.

إلا أن الغموض ظل قائما بشأنها نظرا لكون بلين الشيخ ذكر في كتابه أن تمودة كانت قد اندثرت في الوقت الذي أنجز فيه تاريخه المذكور، خلال القرن الأول للميلاد. لكن الأركيولوجيين الذين باشرُوا أعمالهم بهذا الموضوع، تمكنوا من حل هذا اللغز الكامن في وجود الأدلة المادية بخصوص تمودة الرومانية، وعدم وجود هذه المدينة حسب تاريخ بلين الطبيعي. فلقد تأكد الأثريون في هذا الموضوع من أن تمودة البونيقية الموريطانية هُجرت بعد تدهيها في بداية الأربعينيات من القرن الأول الميلادي، وظلت مهجورة لمدة ما قبل أن يشيد الرومان فوقها معسكرهم. فتمودة المهجورة التي يتكلم عنها بلين، توافق دون شك، أنقاض المدينة البونيقية الموريطانية قبل بناء المعسكر الروماني في نفس الموضوع خلال القرن الثاني للميلاد^٧.

وقبل اكتشاف تمودة سنة ١٩٢١، اعتقد عدة باحثين أن حصن المدينة (*Tamuda oppidum*) الذي ذكره بلين الشيخ، كان يمتد على نفس المجال الذي بنيت فوقه مدينة تطوان، لأن هذا الموضوع أكثر ملاءمة من ذلك الذي يوجد على ضفاف النهر^٨.

٤ - أبو العباس أحمد الرهوني التطاويني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، المحمدية، مطبعة فضالة، ١٩٩٨، ج ١، ص ص. ١٦٠ - ١٦٢.

٥ - Plin l' Ancien, *H. N.*, V, 18 : « (...) Ab his ora interni maris, flumen Tamuda nauigabile, quondam et oppidum, (...) ».

٦ - Thouvenot, 1938, 266-268 ; Tarradell, 1955, 87-92.

٧ - Tarradell, 1960, 97- 98.

٨ - Tissot, 1878, 157-158 : « La ville homonyme dont parle Plin, et qui n'existait déjà plus de son temps, devait être probablement située sur la hauteur où s'est élevée depuis Tétouan ».

وفي القرن الثاني للميلاد، حدد الجغرافي بطليموس (C. Ptolémée) موضع مصب نهر تمودة الذي ورد عنده إما على شكل $\Theta\alpha\lambda\acute{o}\upsilon\delta\alpha$ (تالودة) في النسخة التي اعتمد عليها تيسو (Ch. Tissot)، أو على شكل $\Theta\alpha\mu\acute{o}\upsilon\delta\alpha$ (تمودة) في تحقيق مولر (C. Muller) لنص بطليموس؛ وهو يقع حسب بطليموس بين إياغات (Iagath) غرباً، ورأس الزياتين البرية (Cap des Oliviers Sauvages) شرقاً، وإحداثياته هي: $30^{\circ} 8'$ طولاً، و 35° عرضاً^٩.

وتحدث الجغرافي بومبونيو ميللا (Pomponius Méla) أيضاً، وإن كان بكيفية عابرة، عن نهر تمودة « *Tamuda fluvius* » خلال وصفه لساحل المغرب المتوسطي^{١٠}.

واعتبر تيسو (Ch. Tissot) نهر تمودة هذا متطابقاً مع نهر مرتيل أو مرتين^{١١} الذي يصب في جون على بعد ستة أميال شرق تطوان، والذي كان قابلاً للملاحة في ذلك العهد، حسب بلين^{١٢}. ويحدثنا مرمول كربخال (Luis Del Marmol Carvajal) عن استعمال المغاربة لهذا النهر منطلقاً لعملياتهم الجهادية، في عصر فيليب الثاني، خلال القرن السادس عشر؛ وكان المؤلف الإسباني قد سمى هذا النهر

Voir aussi Gsell, t. II, 167, n.2 : « La ville occupait peut-être le même emplacement que Tétouan, sur la rive gauche, à quelques distance de l'embouchure ».

9 - Claudii Ptolemæi, Geographia. E codicibus recognovit, prolegomenis, annotatione, indicibus, tabulis, instruxit Carolus Müllerus, vol. 1, Paris 1901, p. 582 : « $\Theta\alpha\delta\upsilon\omicron\mu\alpha$ ποτ. Εκβα η' L' λ' Thamudæ fluvii ostia $8^{\circ} 30' 35''$ » ; Roget, 1924, 37 : « ٣. Le bord septentrional [de la Maurétanie Tingitane] est délimité par le Détroit [d'Hercule]; on y trouve, après le Cap déjà nommé [Cap Côtés $6^{\circ} 35' 55''$] :

Tingis Caesarea	$6^{\circ}30' 35^{\circ}55'$
Embouchure du Valon	$7^{\circ} 35^{\circ}50'$
Exilissa, ville	$7^{\circ}30' 35^{\circ}55'$
La montagne des Sept Frères	$7^{\circ}40' 35^{\circ}50'$
Autre limite au Nord : la mer Ibérique, où l'on trouve :	
Colonne d'Abila	$7^{\circ}50' 35^{\circ}40'$
Cap de Phoibos	$8^{\circ} 35^{\circ}30'$
Iagath	$8^{\circ}20' 35^{\circ}5'$
Embouchure du Thamouda	$8^{\circ}30' 35^{\circ}$
Cap des Oliviers sauvages	$8^{\circ}50' 35^{\circ}10' (...)$ » ;

Schmitt, 1973, 144-146 ; Roget-Coeytaux, 1938, 77.

¹⁰ - Pomponius Mela, Traduit en français, sur l'édition d'Abraham Gronovius, le texte vis-à-vis la traduction par C.-P. Fradin, Tome I, Paris/Poitiers 1804, pp. 44-45 ; 228, n. 105 ; *Géographie de Pomponius Mela*, traduite par M. Louis Baudet, Paris 1843, pp. 24-25 ; Pomponius Mela, *Chorographie*, Texte établi, traduit et annoté par A. Silberman, Paris 1988, I, 5, 29, et p. 119, n. 10.

¹¹ - Tissot, 1878, 157 ; Roget-Coeytaux, 1938, 77.

¹² - Pline, *H. N.*, V, 18, : « (...) *flumen Tamuda nauigabile*, (...) ».

باسم « قوس »^{١٣}. واستمر النهر صالحا للملاحة إلى غاية القرن التاسع عشر، حيث تطلعتنا بعض النصوص على وصول السفن الإسبانية إلى مشارف تطوان خلال الحرب التي شنتها القوات الإسبانية على هذه الحاضرة سنة ١٨٦٠^{١٤}.

ولا نعرف اليوم إلا القليل عن أصل السكان الأوائل الذين عاشوا في تمودة وأرباضها. وتتحصّر معلوماتنا حالياً، بخصوص هذا الموضوع، فيما توصل إليه علماء الآثار الإسبان : طراديل (M. Tarradell)، وغريغا بوجول^{١٥} (J. Garriga) (Pujol)، وأوبيرمايير^{١٦} (H. Obermaier)، وبيريكوت غرسيا^{١٧} (L. Pericot) (Garcia).

تاريخ تأسيس تمودة:

يرجع تاريخ تأسيس هذه المدينة إلى نهاية القرن الثالث ق.م^{١٨}. ولقد أظهرت عمليات الاستنبار والتنقيبات الأخيرة في تمودة وباقي المواضع الأثرية المغربية، أن الساحل المغربي كان مُدمجاً في مجال المبادلات التجارية في حوض البحر المتوسط خلال العصر الفنيقي واليوناني والموريطاني. وتشهد وفرة الخزفيات الكامبانية^{١٩} والأريزية^{٢٠} في هذه المواضع على حياة اقتصادية نشيطة مرتبطة بالتجارة المتوسطية. ولقد أثبتت التنقيبات الأثرية التي قام بها الأركيولوجيون الإسبان في موضع تمودة، وجود آثار مدينتين متعاقبتين، الواحدة فوق الأخرى. الأولى والأقدم هي تمودة البونيقية الموريطانية التي أسست حوالي ٢٠٠ ق.م.، وهدمت خلال النصف الأول من القرن الأول ق.م.، ثم أعيد بناؤها بعد ذلك إلى أن خربت ثانية سنة ٤٠ م^{٢١}. والثانية، (تمودة II)، هي عبارة عن حصن روماني (*castellum*)، شُيد وسط المدينة المخربة.

واعتقد الباحثون الإسبان الأوائل أن تمودة الأولى لم تهدم بصفة نهائية إلا أثناء حرب أيديمون (Aedemon) حوالي ٤٠ م. لكن طراديل (M. Tarradell)^{٢٢} لاحظ خلال حفرياته أن الأمر لا يتعلق بتخريب واحد، بل بتخريبين. بيد أنه إذا كانت

^{١٣} - مارمول كربخال، إفريقيا، ج ٢، الرباط ١٩٨٨ - ١٩٨٩، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٤؛

Benjelloun, 1996, 165-203.

^{١٤} - Ruiz De Cuevas, 1951, 5-7 ; Tarradell, 1956, 82 ; Gozalbes , 1977, 132 ; Gozalbes Cravioto y Gozalbes Busto , 1996, 29-46.

^{١٥} - Tarradell y Garriga Pujol, 1951.

^{١٦} - Obermaier, 1928, 269-272 .

^{١٧} - Pericot Garcia, 1953, 114.

^{١٨} - Tarradell, 1953 a, 28-30 ;Tarradell, 1956, 72 ; Tarradell 1960, 99-101.

^{١٩} - Morel, 1968, 55-76.

^{٢٠} - Ponsich, 1983-1984, 139-209.

^{٢١} - Tarradell, 1953a, 28-30 ; 1956, 72 ; 1960, 99-101.

^{٢٢} - Tarradell, 1960, 118.

أسباب التخريب الثاني (حرب أيديمون) ونتائجه معروفة لدينا من خلال نتائج الحفريات وبعض النصوص القديمة التي تؤكدتها، فإن التخريب الأول يصعب تحديد أسبابه بدقة، لأن ذكره لم يرد في النصوص، وإنما ظهرت بعض آثاره في الميدان، حاول طراديل (M. Tarradell) أن يربط بينها وبين بعض الأحداث التي عرفها أقصى شمال المغرب، وبصفة خاصة مدينة طنجة^{٢٣}.

وإذا ظلت أسباب تخريب تمودة الأول غامضة في مجملها، فإن سبب التخريب الثاني يرتبط بمقتل بطليموس ورد فعل الأهالي في المغرب. فلقد عاشت تمودة قبل الاحتلال الروماني مدبرة شؤونها بنفسها، خاضعة بشكل أو بآخر لملوك موريطانيا إلى غاية ربيع ٤٠ م، حيث استدعى الإمبراطور كاليغولا^{٢٤} (Caligula) الملك الموريطاني بغية " تكريمه"، لكنه ما فتئ أن اغتاله في مدينة ليون (Lyon) الغالية^{٢٥} للاستيلاء على مملكته وثوراته، واضعا بذلك حدا لنظام الحماية المقنع الذي كانت موريطانيا خاضعة له منذ عهد الإمبراطور أغسطس (Auguste)^{٢٦}.

وبمقتل آخر الملوك الموريطانيين : بطليموس (Ptolémée)^{٢٧} وضم مملكته إلى الإمبراطورية الرومانية، بدأت الثورات ضد المستعمر^{٢٨}، وانتهت بذلك السلم التي نعمت بها تمودة وهي مستقلة، إذ خربت المدينة وضاعت معالمها على إثر حريق مدمر أتى على المدينة، وظلت آثاره بادية للعيان، متمثلة في طبقة من الرماد تتخللها بقايا محروقة خلفها الجيش الروماني بعد حملته التأديبية.

^{٢٣} - مصطفى غطيس، تمودة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ١، ١٩٩١، ص ص.

٥٣ - ٥٥ .

^{٢٤} - وليس « القيصر كلود » حسب عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الدار البيضاء ١٩٨٤، ص. ٥٥؛ وراجع:

Faur, 1973, 249-271.

^{٢٥} - وليس في « رومة » حسب عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب، الجزء الأول، الدار البيضاء، بدون تاريخ، ص. ٥٥ .

^{٢٦} - عن الأسباب الكامنة وراء هذا الاغتيال وما نتج عنه راجع:

Suetone, *Caligula*, XXVI ; Dion Cassius, LIX, 25,1 ; Carcopino, 1940, 39-50 ; Kotula, 1964, 76-92 ; Février, 1989, 109.

^{٢٧} - وليس «يوبيا الثاني» حسب عباس الجراري، "وجود المغرب الحضاري والثقافي في العصر الجاهلي"، المناهل، (الرباط) العدد الثامن، السنة الرابعة، ربيع الأول ١٣٩٧ / مارس ١٩٧٧، ص. ٧٩ . ونفس الخطأ ورد في كتاب القياصرة لصاحبه أوريليوس فيكتور الذي عاش في القرن الرابع الميلادي، راجع:

Aurelius Victor, *Livre des Césars*, 4,2 .

^{٢٨} - Chatelain, 1915, 394-399 ; Tarradell, 1954 a, 337- 344 ; Gascou, 1985, 164-167.

ولقد استمرت الثورات ضد روما زهاء أربع سنوات²⁹، ولم يتمكن الإمبراطور كلاوديوس (Claude) من تنظيم الإقليمين الموريطانيين إلا بعد سنة ٤٤ م، حيث جعل نهر ملوية حدا فاصلا بينهما، ونصب عليهما حاكمين من طبقة الفرسان مقيمين، الأول بقبصرية بالنسبة لموريطانيا القيصرية، والثاني بطنجة، بالنسبة لموريطانيا الطنجية³⁰. وكان لهذين الحاكمين مختلف الصلاحيات، المدنية منها والعسكرية، وفي الحالات الاستثنائية كان أحدهما ينفرد بالسلطة، فيلقب آنذاك بـ *procurator pro legato*، وهو اللقب الذي كان يخوله حق قيادة الفيالق الرومانية إلى جانب الفصائل المكونة من الجنود الأجانب التي كانت عادة تحت إمرته³¹.

وبمجرد ضمها إلى الإمبراطورية، شرعت روما في تدعيم وجودها في موريطانيا الطنجية، وذلك عن طريق إقامة المعسكرات الدائمة حيث كانت تقيم فيالق مكونة أساساً من جنود مرتزقة أجنبية. ونظراً للمزايا المتعددة التي ميزت موضع تمودة الإستراتيجي، عمل الرومان على إعادة بنائها وتشيد مدينة ثانية فوق أنقاض المدينة الأولى المخربة، وكان أول ما قاموا ببنائها هو معسكر دائم لمراقبة القبائل الريفية الثائرة والتحكم في تحركاتها³².

ويعتبر بعض علماء الآثار المتخصصين في الأركيولوجيا العسكرية في مضيق جبل طارق، حصن تمودة أهم موضع أثري روماني في شمال المغرب، فيما يتعلق بالعصر الروماني الأدنى، نظراً للحالة التي يوجد عليها وأيضاً فيما يتعلق بالأبحاث التي خصصت له، والتي من شأنها إعادة تأويل بقاياها الأثرية وتجديد المعلومات المتعلقة بدراسة العصر الروماني الأدنى في العدة الموريطانية من المضيق³³. ويعود الفضل في اكتشاف حصن تمودة الروماني سنة ١٩٢١ إلى الباحث الأثري الإسباني دي مونطالبان (Cesar Luis de Montalbán) الذي كشف عن

²⁹ - Decret et Fantar, 1980, 167.

³⁰ - Dion Cassius, LX, 9 : « Claude divisa en deux les Maures, ses sujets : ceux qui étaient du côté de Tingi ; ceux qui étaient du côté de Caesarea, villes dont les deux provinces ont reçu leurs noms, et il les soumit, les uns et les autres, à des gouverneurs de l'ordre équestre. (...) » ; Aurelius Victor, *Livre des Césars*, 4,2.

³¹ - Cagnat, 1912, t. II, 254-257 ; Ayache, 1964, 50-51 ; Février, 1989, 145.

³² - أشار سيستون إلى أهمية الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق من الناحية الإستراتيجية، وذلك منذ أقدم العصور. فلقد تنبه الإمبراطور ماكسيميان خلال زيارته لجنوب إسبانيا في القرن الثالث إلى أهمية المنطقة الواقعة بين طنجة وتمودة، ودورها في صد هجمات القبائل غير الخاضعة شمال المغرب؛ راجع:

Seston, 1946, 117-118 ; Tarradell, 1966, 425-443 ; Ponsich, 1966, 1278 :

حيث يعتقد هذا الباحث أن معسكر تمودة بني أيضاً لحماية المراكز التي كانت تتجر في المعادن المستغلة في هذه الناحية، والتي كانت تكتسي أهمية اقتصادية لا يستهان بها.

³³ - Bernal, 2006, 186.

سور الحصن، وكذا عن الجزء الجنوبي الغربي الواقع داخل المعسكر. ولقد خُلف هذا الأثري^{٣٤} نتائج تنقيباته في بحث يغلب عليه الطابع الحكائي، ولا يمكن الاعتماد عليه لاستخراج معلومات دقيقة على حد تعبير الأثري الفرنسي لونوار (M. Lenoir).^{٣٥} وبعد ذلك، تم الكشف سنة ١٩٤٣ عن الجزء الداخلي من الباب الغربي للثبث من أن المعسكر يعلو فعلا المدينة الموريطانية^{٣٦}. وخلال سنتي ١٩٤٨ و ١٩٥٤ تم الكشف عن الباب الشمالي وجزء من داخل المعسكر يقع جنوب الباب الذي تم ذكره^{٣٧}. ويكتسي هذا الحصن شكل بناء مربع الشكل تقريبا، مسافة ضلوعه المتقابلة غير متساوية تماما. ولقد أفضت عملية تصحيح مسافات أضلع المعسكر اعتمادا على تقنية التصوير الجوي إلى تحديد مسافة الضلع الممتد من الشرق إلى الغرب في ٩٢ م، بينما حددت مسافة الضلع الممتد من الشمال إلى الجنوب في ٩٩.٥ م، الشئ الذي يعطي مساحة ٠,٩١ هكتار. وكان لونوار (M. Lenoir)، في بحث يرجع إلى سنة ١٩٨٠، ولم ينشر بعد^{٣٨}، قد أعطى المسافات التالية: ٩١,٧٠ م x ٩٧,٦٥ م، ومساحة ٠,٨٩ هكتار.

ولقد جهز المعسكر بأربعة أبواب: اثنان منها يوجدان وسط الضلعين الشمالي والجنوبي، بينما يوجد بابا الضلعين الشرقي والغربي جنوب الخط الذي يمر وسط هذا المربع. أما عرض هذه الأبواب، فهو حسب لونوار^{٣٩} كالتالي:

_ الباب الشرقي: ٣٠.٣٠ م؛

_ الباب الغربي: ٣.٢٠ م؛

_ الباب الجنوبي: ٢.٥٠ م؛

_ الباب الشمالي: ٢.٢٠ م.

وتوزيع الأبنية داخل الحصن غير واضح تماما، غير أنه يمكن التمييز بين طريقتين يربطان بين الأبواب الأربعة: الباب الجنوبي بالباب الشمالي المقابل له، والباب الشرقي بالباب الغربي المقابل له أيضا. إلا أنه في ظل المعطيات الأثرية الحالية في هذا الموضع، فإن هذين الطريقتين لا يخترقان محوري المعسكر بشكل تام، بحيث نجد بعض الأبنية وسط الطريق الرابط بين البابين الشمالي والجنوبي، كما توجد أبنية أخرى على الطريق الرابط بين البابين الشرقي والغربي، على بعد ١٥ م تقريبا من الباب الغربي.

³⁴ - Montalban, 1933.

³⁵ - Lenoir, 1991, 355.

³⁶ - Quintero Atauri y Gimenez Bernal, 1944, 12-13.

³⁷ - Tarradell, 1949 b, 86-100 ; 1956, 71-85.

³⁸ - Lenoir, (inédit).

³⁹ - Lenoir, 1991, 358.

وحسب الباحث الإسباني بيبايردي بيغا (N. Villaverde Vega)^{٤٠}، فإن الأمر يتعلق بآثار جادتين كبيرتين متقاطعتين : (la via praetoria) التي تتطلق من الباب الجنوبي (porta praetoria) ثم تخترق المعسكر في جزئه الجنوبي، و (la via principalis) التي يحتمل أنها كانت تربط بين الباب الرئيسي الغربي (porta principalis sinistra) والباب الرئيسي الشرقي (porta principalis dextra) ويفترض بيبايردي (N. Villaverde Vega)^{٤١} أن مقر القيادة كان يوجد في مركز الحصن، عند المدخل القديم لمبنى كبير ملاصق لنقطة تقاطع الجادتين الرئيسيتين بشكل عمودي في موضع locus gromae . والجادتان المذكورتان عنصر هندسي أساسي كانت تقوم عليه تهيئة الحصن . ولموضع تمودة الأثري أهمية خاصة، نظرا لكونه يمثل نموذجين فريدين من نوعهما في المغرب، بالنسبة للحقبتين الواقعتين قبل الاحتلال الروماني وبعده. ويعتبر كل من أوزينا^{٤٢} (M. EUZENAT) وطراويل^{٤٣} (M. TARRADELL) المدينة البونيقية الموريطانية في موضع تمودة، نموذجا عمرانياً لمدينة ما قبل رومانية تتميز هندسة بنائها بشكلها المتعامد أو شبه المتعامد ؛ وهي مثل فريد من نوعه، ليس في المغرب فحسب، بل في مجموع شمال إفريقيا^{٤٤}.

وتشهد البقايا الأثرية التي عُثر عليها في هذا الموضع، على المستوى الحضاري الرفيع الذي بلغته هذه المدينة خلال القرنين الأخيرين قبل الميلاد. ويبدو ذلك جليا من خلال تصميم المدينة الما قبل رومانية ذات الطابع الهيلينستي المنتظم^{٤٥}، وكذا من خلال الجودة التي طبعت بناياتها المتناسقة فيما بينها والشاهدة على كيفية تنظيم المدينة وتجميلها^{٤٦}. فقد عرفت تمودة I (البونيقية الموريطانية)، التي امتدت على مسافة تتراوح ما بين ٢٠٠ و ٢٥٠ م، من الشرق إلى الغرب، وما بين ١٥٠ و ٢٠٠ م، من الشمال إلى الجنوب^{٤٧}، تمدنا وازدهارا سريعين، بحيث اتسعت شوارعها المتعامدة فيما بينها، وتكاثرت بنكاثر المنازل المطلة عليها ؛ واتسعت المدينة لتغطي المساحة الواقعة بين الطريق الرابطة بين تطوان وشفشاون من جهة، وضاة وادي

⁴⁰ -Villaverde Vega, 1995, 330.

⁴¹ - Villaverde Vega, 1995, 330.

⁴² - Euzennat, 1957, 202.

⁴³ - Tarradell, 1956, 73 ; 83.

⁴⁴ - عن أهمية موضع تمودة الأركيولوجي والبقايا الأثرية التي تم اكتشافها فيه، راجع:

Quintero Atauri, 1941 b, 5.

⁴⁵ - Jodin, 1967, 42-44 ; Thouvenot, 1979, 333.

⁴⁶ - Tarradell, 1956, 76, 82 ; 1959, 35 ; 1960, 326 ; 1968, 310-313 ; Euzennat, 1957, 202 ;

Nicolet, 1978, 653-654.

⁴⁷ - Tarradell, 1960, 101.

مرتيل الشرقية من جهة ثانية. ولقد ساهم موقعها الاستراتيجي الهام في هذا النمو، إذ مكن السكان من العمل على بناء وتطوير مدينتهم وهم في مأمن من المخاطر الخارجية. ثم إن موضع تمودة بحكم موقعها هذا، كان الدفاع عنه سهلاً، ومكن السكان من الانسحاب إلى مرتفعات غرغيز كلما دعت الضرورة إلى ذلك. فمن جهة الغرب، يحدها منحدر حاد، ومن جهة الشمال نهر مرتيل الذي كان بمثابة خندق؛ وما زالت هناك آثار سور ضخ من جهة الشرق. أما من جهة الجنوب، فلم تبق آثار واضحة لسور خارجي كما هو الشأن بالنسبة للجهة الشرقية، بحيث نجد أرض المدينة في نفس المستوى، أو في مستوى منخفض بالنسبة للأراضي المجاورة لها خارج الأسوار. ويحتمل أن المدينة كانت محمية من هذه الجهة بواسطة خنادق لم يبق لها أثر واضح اليوم.^{٤٨}

تدبير التراث الأثري في المنطقة الخاضعة للحماية الإسبانية شمال المغرب:

بعد توقيع معاهدة الحماية واحتلال مدينة تطوان التي أصبحت عاصمة منطقة الحماية الإسبانية شمال المغرب، تم في ١٨ غشت ١٩١٣، نشر الظهير المتعلق بحماية الآثار الفنية والمباني التاريخية^{٤٩}. وفي ١٩٢٠، تم إحداث المجلس الأعلى للآثار الفنية والمباني التاريخية^{٥٠}. ولقد ظلت أعمال هذا المجلس في البداية محدودة، وأثرت الأبحاث المتعلقة بعلم الآثار الكلاسيكي. وكان مونطالبان (C. L. de Montalbán) قد عُين مستشاراً تقنياً للمجلس المذكور.

وكانت بداية تنقيبات مونطالبان (C. L. de Montalbán) مشجعة؛ فلقد باشر عمله بعملية استكشاف لوادي مرتيل أفضت إلى العثور على آثار تمودة في ١٩٢١^{٥١}. وكانت البقايا التي تم العثور عليها آنذاك في غاية الأهمية، وتتكون من خزفيات، وأسلحة رومانية، وكمية جد هامة من القطع النقدية الموريطانية والرومانية. وفي ١٩٢٢، زار المستشرق الغرناطي منويل غوميث مورينو (Manuel Gomez Moreno) تطوان، ودرس البقايا الأثرية في تمودة وأولها أحسن تأويل، ثم قام بنشر نتائج أبحاثه بصفته أستاذاً في جامعة مدريد^{٥٢}. وكان عمل غوميث مورينو

⁴⁸ - Moran y Gimenez Bernal, 1948, 14.

⁴⁹ - Valderrama Martinez, 1956, 1009.

⁵⁰ - Valderrama Martinez, 2005, 18.

⁵¹ - Montalbán C. L. de, *Memoria sobre la situación de Tamuda y exploraciones realizadas*, memoria inedita de 1922 en la Biblioteca Nacional (procedente del Fondo Garcia Figueras). Il s'agit d'une copie dactylographiée accompagnée de photographies.

وحسب غوثالبيس (Gozalbes Cravioto, 2005, 231, n. 19)، فإن الباحث الفرنسي جولي (A. Joly) هو أول من اكتشف آثار تمودة، غير أنه اعتبرها برتغالية.

⁵² - Gomez Moreno, 1922.

(M. Gomez Moreno) هذا، حسب غوثالبيس^{٥٣} (E. Gozalbes)، من الأعمال النادرة التي قام بها في مغرب ذلك العهد، باحث ينتمي إلى الجامعة الإسبانية.

ولقد تحدث غوثالبيس (E. Gozalbes)، في إطار دراسته لبدائية البحث الإسباني في ميدان علم الآثار، عن سنتي ١٩٢١ - ١٩٢٢، وذكر بهزيمة الجيش الإسباني في معركة أنوال التي وصفها بـ "الفاجعة المأساوية"، وقال إن هذه الفترة لم تكن مناسبة للقيام بالاكشافات العلمية^{٥٤}. فانعدام الأمن نظرا للمقاومة التي أبدتها الأهالي في شمال المغرب، حال وقدم الباحثين الإسبان، ويبقى غوميث مورينو (M. Gomez Moreno) حالة استثنائية بخصوص هذه الفترة.

وانتظرت السلطات الإسبانية سنة ١٩٢٧ لإعلانها القضاء على المقاومة في الريف، وإحلال السلام بـ " إخضاعها الأهالي ". فتحسنت بعد ذلك ظروف الأمن فيما يتعلق بتقلات الإسبان في المنطقة الخاضعة لهم، وبدأت بالنسبة للبحث الأثري في المنطقة، فترة وصفها غوثالبيس (E. Gozalbes) بـ « توفر النوايا الحسنة، وندرة النتائج بخصوص البحث الأثري »^{٥٥}.

وبعد الحرب الأهلية الإسبانية، أشرف كينطيرو أطوري (P. Quintero Atauri) على إدارة مصلحة الآثار في تطوان، ما بين سنتي ١٩٣٩ و ١٩٤٦^{٥٦}، ثم أدارها بعده طراديل (M. Tarradell) منذ ١٩٤٨/٢/١؛ وركز هذا الأثري جهوده على موضعي تمودة وليكسوس، مستهدفاً مستوياتها البونيقية والرومانية. ولقد استفادت من هذه المجهودات الأركيولوجيا الكلاسيكية، وكان ذلك على حساب علم الآثار والفن العربيين اللذين تم التخلي عنهما^{٥٧}.

البحث الأثري في تمودة خلال عهد الحماية الإسبانية:

بدأت التنقيبات الأثرية في المغرب في المناطق الساحلية الأطلسية مقتصرة على السهول. وظلت ناحية تطوان مفتقرة إلى هذه الأبحاث لمدة طويلة، إلى أن أحدثت بها مصلحة الآثار سنة ١٩٢٠، حيث باشرت أعمالها في مجموعة من المواضع الأركيولوجية بالمنطقة الشمالية، بما فيها تمودة^{٥٨}.

⁵³ - Gozalbes Cravioto, 2005, 231.

⁵⁴ - Gozalbes Cravioto, 2005, 235.

⁵⁵ - *Id., Ib.*

⁵⁶ - Parodi Alvarez, 2006, 9-20.

⁵⁷ - Gozalbes Cravioto 2005 : 239 : « Transcurrida la guerra civil se intensificó mas aun, si cabe, la diferenciación entre la atención a la arqueología clásica y el abandono de los estudios de arqueología y arte arabes ».

⁵⁸ - Tarradell, 1966.

ولقد نشر أول تقرير عن حفريات تمودة سنة ١٩٢٢^{٥٩}، وكان مونطالبان L. C. (de Montalbán) أول من أشرف على الحفريات التي تمت في الحي الغربي من المدينة، دون نشر نتائجها. وتابع من بعده هذه الحفريات كينطايرو أطاوري (P. Quintero Atauri) ما بين ١٩٤٠ و ١٩٤٤؛ ومن بين ما عثر عليه، مقابر قديمة، وجزء من المدينة الأولى، يقع حول ساحة كبرى^{٦٠}. وفي سنة ١٩٤٦، قام ثيسار موران (P. César Morán) هو الآخر بحفريات في الموضع نفسه، استأنفها بعد ذلك طراديل (M. Tarradell) ما بين ١٩٤٨ و ١٩٥٦، ونشر نتائجها في مجموعة من الدراسات صدرت ما بين ١٩٤٩ و ١٩٧٦^{٦١}. ويشير هذا الأثري في كتابه "المغرب البونيقي" إلى أن عملية التنقيب في تمودة لم تنته بعد، وخاصة بالنسبة للحيين الشمالي والغربي؛ إلا أنه يمكن القول بأن بنية المدينة في خطوطها العريضة أصبحت معروفة، ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لتطورها التاريخي^{٦٢}.

وساهمت أبحاث طراديل (M. Tarradell) بشكل كبير في تطور البحث في تاريخ المغرب القديم. ولقد مكنته مهامه بصفته مديرا للمتحف الأثري بتطوان، ومسؤولا عن مصلحة الآثار في المنطقة الخاضعة للحماية الإسبانية، من القيام بعدة أنشطة في ميدان البحث الأثري، صدرت نتائجها في عدد كبير من الدراسات التي ألقها. وموضع تمودة مدين بالفضل لهذا الرجل الذي كان متمكنا من أحدث تقنيات البحث الأثري في عصره. فلقد تتلمذ على الأثري الشهير ألماغرو (M. Almagro)، وتلقى تكوينا جيدا، وكانت ثقافته شاسعة، شملت الفن والأدب، كما كان متضلعا من التاريخ القديم الذي استعان به في عملية تأويل البقايا الأثرية، وهو شيء نادر في أوساط علماء الآثار الإسبان الذين يكتفون فقط بدراسة القطع الأثرية^{٦٣}.

وتجدر الإشارة إلى أن البحث الأثري بمفهومه الحديث، لم يبدأ في شمال المغرب إلا بمجيء طراديل (M. Tarradell)، وقبله، قام بعض علماء الآثار الإسبان "الهواة"، المعروفين بنزعتهم الاستعمارية البغيضة، بحفريات أقرب إلى التخريب منها إلى البحث الأركيولوجي، إلى حد استعمال سانتاس^{٦٤} (P. Cintas) في حقهم فعل « sévir »، لوصف أعمالهم؛ بمعنى أنهم أتوا على هذه الآثار وهدموها.

⁵⁹ - Gomez Moreno, 1922, 5 ; Quintero Atauri, 1941 a, 22-25 ; Tarradell, 1949, 87-88.

⁶⁰ - Quintero Atauri, 1941 a, 22-25 .

⁶¹ - Tarradell, 1948, 251 ; 1951, 5 ; 1953, 27- 28 ; 1956 ; 1966, 429 et 441.

⁶² - Tarradell, 1960, 98; Khatib, 1964, 376 ; 378.

⁶³ - Blazquez Martinez, 2006, 48.

⁶⁴ - Cintas, 1954, 60 ;

وكتب عبد الله العروبي في هذا الصدد ما نصه : « (...) وأخيراً المواضيع الأثرية قد نبشت في القرن الماضي [القرن التاسع عشر] بلا دراية، فتضررت إلى حد أن المرء يتساءل هل يمكن يوماً تصحيح جميع الأخطاء التي ارتكبت، ولو عن حسن نية^{٦٥} ».

وتفتقر كتابات هؤلاء الأركيولوجيين بخصوص تمودة - شأنهم في ذلك شأن معظم الباحثين الأجانب الذين كتبوا عن المنطقة خلال عهد الحماية - إلى الموضوعية. فأغلبهم لم ينقب في هذه المنطقة حبا فيها وسكانها وآثارها، بل كان هدفهم الرئيسي - وقد يبدو هذا غريباً لأول وهلة بالنسبة للأركيولوجيا - يكمن في تذليل العقبات وتسهيل مهمة السلطات الاستعمارية في إحكام قبضتها وتوطيد حكمها في البلاد المستعمرة^{٦٦}. ففي شمال المغرب، حسب فالديراما^{٦٧} (F. Valderrama Martinez)، لم تنته الأعمال الحربية ضد ما يسميه الكاتب الإسباني ب « القبائل المتمردة على سلطة السلطان » إلا في ١٠/٧/١٩٢٧، حسب البيان الصادر في باب تازة.

وفي الوقت الذي تم فيه اكتشاف موضع تمودة، كانت المقاومة المسلحة في المنطقة الخاضعة للحماية الإسبانية على أشدها (هزيمة أنوال ١٩٢١ ...)، وعمل علماء الآثار الإسبان الأوائل - الذين كانوا في معظمهم « هواة بلا تأهيل^{٦٨} » - في ظروف غير آمنة جعلتهم يدعون والحال هذه أنهم يتحلون ب "روح عسكرية". وبالفعل، فلقد أجبرهم المقاومون أيما مرة على مبادلة معاولهم وملابسهم بالأسلحة، على حد تعبير مندوب التربية والثقافة الإسباني^{٦٩}.

ولقد اعتبر عبد الله العروبي هؤلاء الأركيولوجيين الهواة من سوء حظ المغرب الذي كتب تاريخه « لمدة طويلة هواة بلا تأهيل : جغرافيون أصحاب أفكار بارقة، وموظفون يدعون العلم، وعسكريون يتظاهرون بالثقافة، ومؤرخو الفن يتجاوزون اختصاصهم، وبكيفية أعم مؤرخون بلا تكوين لغوي أو لغويون وأرخيولوجيون بلا

^{٦٥} - عبد الله العروبي، مجمل تاريخ المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٤، ص. ٤٥.

^{٦٦} - المرجع نفسه، ص ص. ٤٣-٤٨.

^{٦٧} - Valderrama Martinez 2005, 10.

^{٦٨} - عبد الله العروبي، مجمل تاريخ المغرب، ص. ٢٥.

^{٦٩} - I Congreso Arqueológico del Marruecos Español (Tetuán, 22-26 Junio 1953) ; Tetúan, Imprenta Cremades, 1954, p. 18 : « Asi en plena rebeldía, alla por el año 1921, en el mismo momento en que fueron localizadas las ruinas de Tamuda, se inicio su exploración en condiciones tales de inseguridad que aquellos abnegados excavadores precisaban poseer a un tiempo alma de soldados, pues en mas de una ocasion tuvieron que abandonar la herramienta para empuñar el fusil ».

تأهيل تاريخي. يُحيل بعضهم على الآخر، يعتمد هؤلاء على أولئك، وتُحبك خيوط مؤامرة لتفرض الافتراضات البعيدة كحقائق مقرر^{٧٠}.

فلقد قام الراهب موران باردون (César Morán Bardón) الذي كان موجودا بشمال المغرب منذ ١٩٤١، بعدة أبحاث واهتم في الوقت نفسه بعصور ما قبل التاريخ، وبالطرق الرومانية في المغرب القديم، وبتمودة، وبالأركيولوجيا الإسلامية أيضاً! وانتقد الإسبان أنفسهم أعمال هذا الرجل خلال حياته وبعد موته. ولقد وصف غوثالبيس (E. Gozalbes Cravioto) الكتاب الذي ألفه هذا الراهب الإسباني مع غوستافينو غابينت (G. Guastavino Gallent) : (*Vias y poblaciones*) : (G. Guastavino Gallent) : (*romanas en el norte de Marruecos*, Madrid 1948 العمل "الضعيف"^{٧١}.

و« اهتمت الإدارة الاستعمارية الفرنسية [والإسبانية] اهتماما بالغا بدراسة تاريخ المغرب القديم. وكان ولاية الجزائر والمقيمون العاملون في تونس والمغرب الأقصى يعتنون شخصيا بالحفريات، كما كانت إدارة الداخلية هي الساهرة على مصلحة الفنون الجميلة، فلا غرابة إذا وجدنا في البحوث التاريخية التي صدرت آنذاك آثارا واضحة للفكر الاستعماري^{٧٢}».

ومن بين أهم آثار هذا الفكر الاستعماري، النظرية القائلة بأن أصل الأمازيغ من أوروبا، والتي قامت عليها سياسة إدماج إفريقيا الشمالية في المجموعة الفرنسية التي فشلت السلطات الاستعمارية في ترسيخها بين السكان. ففي ١٨٦٧، كتب الجنرال ورجل الدولة الفرنسي فيدرب^{٧٣} (L.-L.-C. Faidherbe) « إن البربر أقارب سكان أوروبا الغربية القدامى^{٧٤}»، بالرغم من أنه كان من أصحاب اليسار في الجمعية الوطنية الفرنسية! أما الجنرال بريمون (E. Brémont) (١٨٦٨ - ١٩٤٨)، فإن عنوان كتابه " بربر وعرب. بلاد البربر بلاد أوربية^{٧٥} "، يلخص جيدا نظرية الإدماج الذي لا ينجح إلا إذا كان البربر والأوربيون ينتمون إلى أصل واحد.

ولم يكن كنطيرو أطاوري (P. Quintero Atauri) جنرالا كسابقه الفرنسيين، بل مفتشاً عاماً للحفريات في المنطقة الواقعة تحت الحماية الإسبانية، ومن

^{٧٠} - عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ص. ٢٥.

^{٧١} - Gozalbes Cravioto, 2005, 240.

^{٧٢} - عبد الله العروي، المرجع نفسه، ص. ٤٣.

^{٧٣} - (١٨١٨ - ١٨٨٩). ضابط عسكري اشتغل في الجزائر وجزر الأنتيل والسينغال، وترك عدة أعمال درس فيها جغرافية إفريقيا وإثنوغرافيتها.

^{٧٤} - « Les Berbères sont parents avec la population ancienne de l'Europe occidentale ».

^{٧٥} - "Berbères et Arabes. La Berbérie est un pays européen", Paris, Payot, 1938 ; d'après A. Laroui, *L'histoire du Maghreb*, I, p. 20, n. 12.

أولئك الأركيولوجيين المتحليين بـ "الروح العسكرية". ولقد أكد في تقرير الحفريات التي قام بها في تمودة سنة ١٩٤٠، « أن التنقيبات التي قام بها في هذا الموضع، وتلك التي سيقوم بها في المستقبل، ستظهر حتما الأصل المشترك، وستثبت قوة الروابط التي كانت قائمة بين الأندلسيين [الإسبان] والموريطانيين أو الموريين [شمال المغرب] » ؛ بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يؤكد أنه « توجد بين البرانس وجبال الأطلس وحدة جغرافية جلية تعتبر صلة وصل بين أوربا وإفريقيا، لذلك فلا غرابة إذا اتحد هؤلاء وأولئك تحت الراية الإسبانية كما كان الشأن سابقا خلال العهد الروماني »^{٧٦}.

وهكذا نرى أن الفرنسي فيدرب (L.-L.-C. Faidherbe) يتحدث عن " القرابة " التي تجمع بين البربر وسكان غرب أوربا القدامى، وكنطيرو أطاوري (P. Quintero Atauri) يتحدث عن " وحدة الأصل " ؛ وبينما استعمل الفرنسيان مصطلح " البربر " و " العرب "، اختار الإسباني استعمال مصطلح " الموريطانيين " أو " الموريين " لنعت السكان الأصليين. وتحدث فيدرب (L.-L.-C. Faidherbe) بالنسبة لسكان العدة الشمالية للمضيق عن " سكان أوربا الغربية "، بينما اختار كنطيرو أطاوري (P. Quintero Atauri) مصطلح " الأندلسيين ". وعندما يؤكد الجنرال الفرنسي أن « بلاد البربر بلاد أوربية »، فإن الأثري الإسباني يبتكر، نظراً لما تقتضيه الظروف، « وحدة جغرافية جديدة جلية »، جعلها صلة وصل بين أوربا وإفريقيا !

وبذل العلماء بالمسكوكات الإسبان أيضاً قصارى جهدهم، ليثبتوا تلك "القرابة" و"وحدة الأصل" التي تجمع بين سكان العدوتين اللتين كانتا متصلتين، حسب بعضهم، في عهد هرقل ! فبالفعل، في نهاية الأربعينيات من القرن الماضي، قام مطيو يي يوبيس (F. Mateu y Llopis) بدراسة النقود الموريطانية، واعتمد على التغييرات التي أدخلها بعض الأباطرة على تنظيم إدارة الأقاليم الرومانية وإعادة تقسيم بعضها، وعلى أسطورة إغريقية تحكي كيف قام البطل الأسطوري هرقل بفصل أقصى جنوب إسبانيا عن أقصى شمال المغرب بعد أن كانا متصلين عبر سلسلة جبلية ظلت أطرافها تحمل اسمه : عمودا هرقل، أبيلا (Abyla) وكالبي (Calpé)، ليبرهن على الوحدة الطبيعية والسياسية التي كانت قائمة بين إسبانيا والمغرب منذ غابر العصور إلى عهد الحماية. « ألم تشكل موريطانيا الطنجية الإقليم السابع من الأقاليم الإسبانية في عهد

⁷⁶ - Quintero Atauri, 1941 b, 14 : « Esperamos que cuando futuros hallazgos vayan demostrando la hermandad de orígenes de Andaluces y Mauritanos o moros, a nadie extrañe el que unos y otros se unan estrechamente, comprobando que del Pirineo al Atlas hay un conjunto geográfico perfectamente definido que sirve de transición entre Europa y Africa ».

وراجع أيضا ما كتب في هذا السياق في:

Quintero Atauri, 1940, a, 123 ; Quintero Atauri y Gimenez Bernal, 1943, 5, n. 1 ; Mateu y Llopis, 1949, 33 ; Tarradell, 1961, 172.

الإمبراطور تيودوز (Théodose) في إطار *Libellus Provinciarum Romanorum*؟ وقبله، ألم تكن موريطانيا الطنجية تابعة إدارياً، في عهد الإمبراطور أوطون (Othon)، سنة ٦٩ ل *Convento juridico de Cadiz*، وحملت اسم *Provintia Nova Hispania Ulterior Tingitana*؟ وقبله دائماً، ألم يعتبر الإمبراطور كلاوديوس (Claude) موريطانيا الطنجية، بعد ضمها إلى الإمبراطورية، امتداداً طبيعياً لجنوب شبه الجزيرة الإيبيرية (*l'Hispania Ulterior*)، كما كانت في الواقع من الناحية الجغرافية والاقتصادية؟ بلى، إنها لم تكن تابعة لإسبانيا إدارياً فحسب، بل شكلت معها بلداً واحداً»، على حد تعبير المؤرخ الكولونيالي الإسباني^{٧٧}. ويضيف مطيو بي يوبيس (F. Mateu y Llopis) قائلاً « إن نقود تمودة التي درسها تشكل جزءاً من تلك التي تم استخراجها من أراضي ولاية (*Provintia Nova Hispania Ulterior Tingitana*) التي كانت تكون مع (*fertum gaditanum*) بلداً واحداً^{٧٨}. وقبل العصر الروماني، يكتفي مطيو بي يوبيس (F. Mateu y Llopis) بنعت العلاقات التي كانت تربط بين سكان العدوتين في العهد البونيفي ب "الوطيدة".

وقبله، كان ديلغادو (A. Delgado) قد تحدث عن النقود التي سكنت في طنجة وليكسوس وزيليس في كتابه: *Nuevo método de clasificacion de las medallas autonomas de España*، الصادر سنة ١٨٧٣، مشيراً إلى أنه « اهتم بنقود هذه المدن، بخلاف المدن الموريطانية الأخرى، لأنها كانت جزءاً من مدن إسبانيا الطنجية (*Hispania Tingitana*) التي كانت تربط بينها وبين الإسبان علاقات تجارية وصدائة وطيذة^{٧٩}. ويفسر ديلغادو (A. Delgado) أنه أضاف إلى

⁷⁷ - Mateu y Llopis, 1949, 12-13 : « (...) Toda esta región (Tamuda, Tingis y Lixus) perteneció a la Mauritania, fue esencialmente marítima y emparentada con la zona peninsular del *fretum gaditanum* con vínculos tan estrechos que constituyo con aquella, en rigor, un mismo país, de influencias cartaginesas, de dominación púnica en lo cultural, en lo linguístico y epigráfico ».

⁷⁸ - *Ib.*

⁷⁹ - Mateu y Llopis, 1949, 13 : « Hemos agregado a nuestras observaciones sobre las monedas de la Hispania Ulterior este bosquejo relativo a las que fueron acuñadas en la parte del Africa septentrional que mira a la parte del Estrecho y esta mas frontera a Gadir ; en cuyo territorio asentaron las ciudades de Tingi, Zilis y Lixus ; omitiendo tratar de las medallas de otras poblaciones mas orientales y excusando también entretenernos en el estudio de aquellas que lo fueron en ciudades situadas sobre la costa al sur de Larache. Todas ellas formaban parte de lo que se llamo Hispania Tingitana, pero en el tiempo a que nuestro trabajo se contrae, solo los tres pueblos mencionados tenian mas intimas relaciones comerciales y de amistad con los españoles ».

وراجع في هذا الصدد ما كتبه:

دراسته للنقود الإسبانية القديمة نقود هذه المدن الموريطانية، لأنها سكّت في هذا الجزء من شمال إفريقيا الذي يطل على المضيق، والمقابل لمدينة قادس القديمة (Gadir). وعلاوة على إبراز "متانة الروابط الأخوية" و "وحدة الأصل"، عمل الأركيولوجيون الإسبان على إعطاء نظرة مشوهة عن الأهالي الذين عمروا المنطقة الشمالية من المغرب ما بين القرنين الأول والثالث للميلاد، وكرسوا جهودهم، من خلال بعض الأمثلة المادية التي لا تترك أي مجال للشك في رأيهم، للحط من قيمة الموريطانيين الطنجيين وثقافتهم التي نعتوها بالفقر^{٨٠}، وبثقافة العصر الحجري الحديث. كما عملوا من خلال مقارنة البقايا الأثرية الإيبيرية بمثيلاتها الموريطانية، على إبراز تفوق الثقافة الإسبانية تفوقا كبيرا على الثقافة الموريطانية آنذاك، وبالتالي تفوق الإسباني على الموريطاني ماضيا وحاضرا^{٨١}.

إلا أن روما أخفقت في دورها القاضي بتحضير وتمدين "الشعوب البدائية"، كما أخفقت الإمبريالية الأوروبية من بعدها، باعتبارها "وارثة رسالة روما الحضارية"^{٨٢}، في المغرب وسائر البلاد التي خضعت لروما بشكل أو بآخر.

Gsell, T. 1, 1927, 30 : « L'Afrique du Nord est à peine une terre africaine ». p 31 : « (...) La Berbérie appartient à la Méditerranée occidentale, bien plus qu'à l'Afrique. C'est avec les deux péninsules européennes qui s'avancent vers elle, l'Italie et l'Espagne, qu'elle a eu les relations les plus nombreuses et les plus fécondes. Des anciens la plaçaient en Europe. (...) Autant que son climat, sa structure, sa flore, et, dans une certaine mesure, sa faune la rattachent au sud de notre continent. (...) ».

ولتدعيم قوله، استشهد غزيل ب:

Salluste, *Jugurtha*, XVII, 3 : « (...) Dans la division du globe, la plupart des auteurs ont fait de l'Afrique une troisième partie du monde ; quelques-uns ne comptent que l'Asie et l'Europe et placent l'Afrique en Europe. (...) » ; Lucain, *Pharsale*, IX, 411- 413 : « (...) La Lybie est la troisième partie du monde, si l'on en croit l'opinion commune ; mais, d'après ses vents et son ciel, elle fait partie de l'Europe. (...) ».

وراجع أيضا غزيل، المرجع المذكور، ص. ٣٢؛ ٣٧-٣٨، حيث يؤكد هذا المؤرخ أن المغرب وتونس كانا يعتبران بالنسبة لروما امتدادا لشبهي الجزيرتين الإيبيرية والإيطالية. ولقد فند بونسيك (M. Ponsich) هذه الأطروحات، وأبرز أوجه الاختلاف بين ضفتي مضيق جبل طارق، المغربية والإسبانية، وأكد على هذه الاختلافات فيما يخص المعطيات الجغرافية والاقتصادية والسياسية؛ راجع:

Ponsich, 1988, 84-87.

وراجع أيضا في هذا الصدد، ما كتبه مومسن:

Mommsen, 1985, 934-936.

⁸⁰ - Quintero Atauri y Gimenez Bernal, 1943, 6.

^{٨١} - فيما يخص تفوق الحضارة الرومانية على باقي الحضارات، إن هي وُجدت، راجع الأبحاث القيمة الواردة في كتاب:

Clavel-Lévêque, 1989.

^{٨٢} - راجع: عبد الله العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، ص ص. ٣٧-٤١.

تفتقر كتابات الأركيولوجيين الإسبان الأوائل بخصوص تمودة إلى الموضوعية. ويُعتبر منويل غوميث مورينو (Manuel Gomez Moreno)، قبل طراديل (M. Tarradell)، الباحث الجامعي الوحيد الذي خصّ آثار هذا الموضوع بدراسة جادة. وكان غيره في معظمهم هواة بدون تأهيل، كانت حفرياتهم أقرب إلى التخريب منها إلى البحث الأثري بمفهومه الحديث؛ كما أنهم ارتكبوا عدة أخطاء، وألفوا أبحاثا ضعيفة، بشهادة الإسبان أنفسهم فيما بعد. وتعكس هذه الأبحاث "الروح العسكرية" التي تحلّى بها معظمهم، وقد دأبوا على إنجاح سياسة إدماج سكان شمال المغرب في المجموعة الإسبانية، وعملوا على إبراز "متانة الروابط الأخوية"، وزعموا أن أصل الإسبان الأندلسيين والموريطانيين واحد، كما افترى بعض الفرنسيين من قبلهم لما ادعوا أن «بلاد البربر بلاد أوربية».

مراجع البحث

- AYACHE, A. (1964): *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Paris.
- BENJELLOUN, A. (1996) : Luis Del Marmol Carvajal et Tétouan, *Actes du Colloque Tétouan aux XVI et XVII s. ; 9, 10 et 11 mars 1995*, Tétouan, pp. 165-203.
- BERNAL, D. (2006): "Roma y la Antigüedad tardía en el Círculo del Estrecho", *Actas del Primer Seminario Hispano Marroquí de especialización en Arqueología*, pp. 169-199, Universidad de Cádiz.
- BERNAL, D. BUSTAMANTE, M. SAEZ, A. M. DIAZ RODRIGUEZ, J. J. LAGOSTENA, J. RAISSOUNI, B. GHOTTES, M. y VERDUGO, J. (2008) : " Reconsiderando la datación del *castellum* de Tamuda. Actuación Arqueológica de apoyo a la restauración en la puerta occidental (2008) ", *En la Orilla africana del Círculo del Estrecho. Historiografía y proyectos actuales*. Colección de Monografías del Museo Arqueológico de Tetuán (MMAT II). *Actas del II Seminario Hispano-Marroquí de Especialización en Arqueología*. Cádiz, , pp. 537- 607.
- BESNIER, M. (1904) : Géographie ancienne du Maroc, *Archives Marocaines*, Paris, 1, pp. 301-365.
- BLÁZQUEZ, J.M^a (2006): "La obra de Ponsich y de Tarradell sobre Marruecos", *Actas del Primer Seminario Hispano Marroquí de especialización en Arqueología*, pp. 47-53, Universidad de Cádiz.
- CAMPOS V. CORTIJO, J. DELGADO, S. O'KELLY, J. VERDUGO, J. DE LA O VIDAL N., GHOTTES M. , Y RAISSOUNI, B. (2008) : "La torre noroeste del *castellum* de Tamuda (Tetuán, Marruecos): últimos avances sobre su proceso de construcción y evolución histórica", *En la Orilla africana del Círculo del Estrecho*. Historiografía y proyectos actuales. Colección de Monografías del Museo Arqueológico de Tetuán (MMAT II). *Actas del II Seminario Hispano-Marroquí de Especialización en Arqueología*. Cádiz, , pp. 473-536.

- CARCOPINO, J. (1940) : Sur la mort de Ptolémée, roi de Maurétanie, in : *Mélanges A. Ernout*, Paris, pp. 39-50.
- CHATELAIN, L. (1915) : Inscription relative à la révolte d'Aedemon, *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres*, pp. 394-399.
- CINTAS, P. (1954) : *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Publications de l'Institut des hautes études Marocaines, 56, Paris.
- CLAVEL-LEVEQUE, M. (1989) : *Puzzle gaulois*, Paris.
- COLA ALBERICH, J. (1946) : Notas antropológicas sobre unos craneos procedentes de Tamuda, *Mauritania*, Año XIX, n° 228, Noviembre, p. 255- 257.
- COLA ALBERICH, J. (1947) : Notas antropológicas sobre unos craneos procedentes de Tamuda, *Mauritania*, Año XX, n° 232, Marzo, p. 57-58.
- I Congreso Arqueológico del Marruecos Español (Tetuán, 22-26 Junio 1953) ; Tetuán, Imprenta Cremades, 1954.
- DECRET, F. (1977) : *Carthage ou l'empire de la mer*, 3^e éd., Paris.
- DECRET, F. et FANTAR, M. (1981): *L'Afrique du Nord dans l'antiquité. Histoire et civilisation* (des origines au V^e siècle), Paris.
- EUZENNAT, M. (1957) : L'archéologie marocaine 1955-1957, *BAM*, II, p. 199-229.
- EUZENNAT M. (1965) : "Héritage punique et influences gréco-romaines au Maroc à la veille de la conquête romaine", *Le rayonnement des civilisations grecque et romaine sur les cultures périphériques*, Actes du 8^e congrès international d'archéologie classique, Paris, 1963, Paris, pp. 261-278.
- FAUR, J.-C. (1973) : Caligula et la Maurétanie : La fin de Ptolémée, *Klio*, LV, pp. 249-271.
- FEVRIER, P.- A. (1989) : *Approches du Maghreb romain. Pouvoirs, différences et conflits*, Aix-en-Provence.

- GALAND, L. (1960): Afrique du Nord et Sahara, I. Afrique antique; 2. Toponymie, *Revue Internationale d'Onomastique*, XII, p. 295.

- GASCOU, J. (1985) : « Aedemon », in : *Encyclopédie Berbère*, II, Aix-en-Provence, pp. 164-167.

- GHOTTES, M. (2008): "Histoire des fouilles à Tamuda", en Bernal-Raissouni-Ramos-Zouak-Parodi (eds.), *En la Orilla africana del Círculo del Estrecho. Historiografía y proyectos actuales. Colección de Monografías del Museo Arqueológico de Tetuán (MMAT II). Actas del II Seminario Hispano-Marroquí de Especialización en Arqueología*. Cádiz, pp. 459-471.

- GOMEZ MORENO, M. (1922) : "Descubrimientos y antigüedades en Tetuán", *Suplemento al número del 10 de noviembre de 1922 del Boletín Oficial de la Zona del Protectorado Español en Marruecos*, Madrid.

- GOZALBES CRAVIOTO, E. (1978): Kitzan, poblado punico-mauritano en las inmediaciones de Tetuán (Marruecos), *Ant. Afr.*, XII, pp. 15-19.

- GOZALBES CRAVIOTO, E. (2005) : Los inicios de la investigación española sobre arqueología y arte árabes en Marruecos (1860-1960), *Boletín de la Asociación Española de Orientalistas*, XLI, pp. 225-246.

- GOZALBES CRAVIOTO, E. y GOZALBES BUSTO, G.(1996): «El desarrollo naval de Tetuán en el primer tercio del siglo XVI», *Actes du Colloque Tétouan aux XVI et XVII s.*; 9, 10 et 11 mars 1995, Tétouan, pp. 29-46.

- GSELL, St. *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Paris, I, 1892, VIII, 1928.

- KHATIB N. (1964) : L'archéologie marocaine de 1961 à 1964. Chronique, *BAM*, V, pp. 361-378.

- KOTULA, T. (1964) : Encore sur la mort de Ptolémée, roi de Maurétanie, *Archeologia*, XV, pp. 76-92.

- LENOIR, M. (1991) : Le camp de Tamuda et la chronologie de quelques camps du Maroc, in : *113^e Congrès*

national des Sociétés savantes, Strasbourg, 1988, IVe Colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord, t. II, Paris, pp.355-365.

- MALDONADO VAZQUEZ, E. (1947) : Marruecos romano, *Africa*, n° 61-62, enero- febrero 1947, p. 18.

- MATEU Y LLOPIS, F. (1949): *Monedas de Mauritania*. Contribución al estudio de la numismática de la Hispania ulterior Tingitana, según el Monetario del Museo arqueológico de Tetuán, Publicaciones del Instituto "General Franco" para la investigación hispano-árabe, 27.

- MOMMSEN, T. (1985) : *Histoire romaine*, T. II, Paris.

-MONTALBÁN, C.L., (1922) : *Memoria sobre la situación de Tamuda y exploraciones realizadas*, memoria inédita de 1922 en la Biblioteca Nacional (procedente del Fondo García Figueras).

- MONTALBÁN, C.L. (1929): *La situación de Tamuda y las exploraciones realizadas en la misma por César Luis de Montalbán y de Mazas*, Larache.

- MONTALBÁN, C.L. (1933) : *Estudios sobre la situación de « Tamuda » y las exploraciones realizadas en la misma*, mémoire dactylographié conservé à la Bibliothèque de l'Institut national des sciences de l'archéologie et du patrimoine (INSAP), Rabat.

- MORÁN, C. y GIMÉNEZ, C. (1948): Excavaciones en Tamuda –1946–, Relación de las Memorias publicadas por la Delegación de Educación y Cultura, Tetuán, 10, Madrid.

- MOREL, J.-P. (1968) : Céramique à vernis noir du Maroc, *Ant. Afr.*, 2, pp. 55-76.

- MOREL, J.-P. (1994): *Céramique campanienne: les formes*, Roma.

- MOULIERAS, A. (1899) : *Le Maroc inconnu*, vol. II, Paris.

- NICOLET, C. (1978) : *Rome et la conquête du monde méditerranéen* (267-27 av. J. – C.), t. II : *Genèse d'un empire*, Paris.

- OBERMAIER, H. (1928) : El paleolítico del Marruecos Español, *Boletín de la Real Sociedad de Historia Natural*, XXVIII, Madrid, pp. 269-272.

- PARODI ALVAREZ, M. J. (2006) : Arqueología española en Marruecos, 1939-1946. Pelayo Quintero Atauri, *SPAL*, XV, pp. 9-20.

- PERICOT GARCIA, L. (1953) : *Historia de Marruecos ; I - Prehistoria*, Tetuán.

- PONSICH, M. (1966): Le trafic du plomb dans le détroit de Gibraltar, *in : Mélanges d'archéologie et d'histoire offerts à A. Piganiol*, t. III ; Paris, pp. 1271-1279.

- PONSICH, M. (1983-1984) : La céramique arétine dans le nord de la Maurétanie Tingitane, *BAM*, XV, pp. 139-211.

- PONSICH M. (1988) : Implantation rurale du Maroc phénicien, *Dossiers Histoire et Archéologie*, 132, nov., pp. 84-87.

- QUINTERO ATAURI, P. (1940 a) : Pebeteros de barro cocido, *Mauritania*, 149, Tanger.

- QUINTERO ATAURI, P. (1940 b) : La cerámica italo-griega en el Museo Arqueológico de Tetuán, *Mauritania*, 157, Tanger.

- QUINTERO ATAURI, P. (1941 a) : Apuntes sobre arqueología Mauritana de la zona Española, Cádiz, Salvador Repeto, Impresor.

- QUINTERO ATAURI, P. (1941 b) : *Excavaciones en Tamuda. Memoria resumen de las practicadas en 1940*, Relación de las Memorias publicadas por la Junta Superior de Monumentos Históricos y Artísticos, 2, Larache.

- QUINTERO ATAURI, P. (1941 c) “Una inscripción latina de Marruecos”, *Mauritania*, 164, Tánger.

- QUINTERO ATAURI, P. (1943 a): *Museo arqueológico de Tetuán*. Estudios varios sobre los principales objetos que se conservan en el Museo, Tetuán.

- QUINTERO ATAURI, P. (1943 b): Industria del hueso y del marfil en Tamuda, *Mauritania*, Año XVI, nº 188, pp. 193-195.

- QUINTERO ATAURI, P. y GIMENEZ BERNAL, C. (1944) : *Excavaciones en Tamuda. Memoria resumen de las*

practicadas en 1943, Delegacion de Educacion y Cultura, num.7, Tetuán,.

- ROGET, R. (1924) : *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris.

- ROGET-COEYTAUX, Rde. (1938) : *Index de topographie antique du Maroc*, PSAM, 4.

- RUIZ DE CUEVAS, T. (1951): *Apuntes para la historia de Tetuán*, Tetuán.

-SCHMITT, P. (1973): *Le Maroc d'après la "Géographie" de Claude Ptolémée*, Thèse de doctorat de 3^{ème} cycle, Tours.

- SESTON, W. (1946) : *Dioclétien et la Tétrarchie. I- Guerres et réformes* (284 – 300), Paris.

- TARRADELL, M. (1948): *La Cronología de Tamuda, Mauritania*, Año XXI, n° 252, Noviembre de 1948, p. 251.

- TARRADELL, M. (1949 a) : *Estado actual de la investigación arqueológica en la Zona del Protectorado español en Marruecos, Crónica del IV Congreso Arqueológico del Sudeste Español, Elche, 1948*, Carthagène, pp. 80-88.

- TARRADELL, M. (1949b) : *Estado actual de los conocimientos sobre Tamuda y resultados de la campaña de 1948*, A.E.A., 74, pp. 86-100.

- TARRADELL, M. (1953 a): *Guía arqueológica del Marruecos español*, Tetuán.

- TARRADELL, M. (1953 b): *Tamuda, ciudad antecessora de Tetuán*, *Africa*, n° 136, abril, pp. 5-7.

- TARRADELL, M. (1954 a) : *Nuevos datos sobre la guerra de los Romanos contra Aedemon*, I *C.A.M.E* , Tetuán, pp. 337-344 .

- TARRADELL M. (1954 b): *Marruecos antiguo : nuevas perspectivas*, *Zephyrus*, V, , p. 105-139.

- TARRADELL, M. (1955): *La crisis del siglo III de J.-C. en Marruecos*, *Tamuda*, III, pp. 75-105.

- TARRADELL, M. (1956): *Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955*, *Tamuda*, 4, pp. 71-85.

- TARRADELL, M. (1957): El poblamiento antiguo del valle del río Martín, *Tamuda*, V, 2, pp. 247-274.

- TARRADELL, M. (1958): “Breve noticia sobre las excavaciones realizadas en Tamuda y Lixus en 1958”, *Tamuda*, VI, pp. 372-379, Tetuán.

- TARRADELL, M. (1960): *Historia de Marruecos : Marruecos púnico*, Universidad de Rabat, Publicaciones de la Facultad de Letras, Instituto Muley El-Hasan, Tetuán.

- TARRADELL, M. (1966): Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : région de Tétouan, *BAM*, VI, pp. 425-443.

- TARRADELL, M. y GARRIGA PUJOL, J. (1951) : *El paleolítico del Río Martín*, Tetuán, Editora marroquí.

- THOUVENOT, R. (1938) : Une inscription latine du Maroc, *REL*, 16, pp. 266-268.

- THOUVENOT, R. (1950) : Promenade archéologique au Musée de Tétouan (Maroc), *REA*, 52, pp. 138-145.

- TISSOT, Ch. (1878) : *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des inscriptions et belles-lettres, 1^e s., IX, Paris.

- VALDERRAMA MARTINEZ, F. (1956) : *Historia de la acción cultural de España en Marruecos (1912-1956)*, Tetuán.

- VALDERRAMA MARTINEZ, F. (2005) : La acción cultural de España en Marruecos, *Boletín de la Asociación Española de Orientalistas*, XLI, pp. 9-22.

- VILLAVERDE VEGA, N. (1995) : La hiérarchie militaire et l'organisation architecturale interne du castellum de Tamuda (Tétouan, Maroc) : du Haut au Bas-Empire, in : *La hiérarchie (rangordnung) de l'armée romaine sous le Haut Empire*, Actes du Congrès de Lyon (15-18 septembre 1994) rassemblés et édités par Yann Le Bohec, Paris, pp. 329- 341.

الموقع الجغرافي لتمودة

